الفصل الأول

رفض الهزيمة وخوض حرب الاستنزاف

■ نكسة ٦٧ .. وصدمة الانكسار :

جاء شهر يونيه عام ١٩٦٧م على مصر وأجواؤه السياسية والعسكرية ملبدة بالغيوم، ليعلن عن بدء فصل جديد من فصول الصراع العربى الإسرائيلى، والتى امتدت منذ قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م وحتى الآن، حيث اعتبرت إسرائيل حربها مع العرب حربًا حتمية لبقاء الكيان الصهيونى للحفاظ على حلمها فى إنشاء دولتهم المزعومة فأعدت جيشها لشن حرب على الجيوش العربية فى (مصر – سوريا – الأردن)، وقد رأت أن تركز حربها على الجبهة المصرية لزعامتها للعرب، وخاصة بعد أن قطعت مصر شوطًا كبيرًا فى طريق تقدمها، بعد أن استطاعت أن تنفض عن نفسها تراب الاحتلال المقيت الذى جثم على صدور أبنائها لأعوام طويلة، ووضعت استراتيجية عامة لتقدمها فى شتى المجالات .

وبالفعل نجحت إسرائيل فى شن حرب خاطفة وغادرة فى صباح يوم ٥ يونيه ١٩٦٧م على مصر وبعض الدول العربية (الأردن وسوريا)، مستخدمة قواتها الجوية فى قصف مطارتنا الحربية وتدمير طائراتنا على الأرض، بدون إعطاء فرصة حقيقية للطيارين المصريين الأكفاء للقتال لإثبات قدرتهم على حماية سماء وأرض وطنهم، وهذا يرجع لوسائل الدفاع الجوى التى لم تكن بالكفاءة المطلوبة، ولأن القيادة العامة للجيش المصرى فى ذلك الوقت أمرت بتقييد نيران الدفاع الجوى خلال ساعات صباح هذا اليوم لتوجه المشير عبد الحكيم عامر القائد العام للجيش المصرى فى ذلك الوقت جوًا لزيارة القوات الموجودة بسيناء، مما أعطى القوات الجوية الإسرائيلية الفرصة لتنفيذ هجماتها على القواعد والمطارات المصرية بدون أن تتكبد خسائر فادحة.

كما قامت بقصف قوات ومعدات الجيش المصرى الموزعة بصحراء سيناء، وقد ساعدهم على ذلك وجود حوالى ثلاث فرق من أفضل الفرق الموجودة بالجيش المصرى وقت ذاك فى حرب اليمن مشتركة فى عمليات القتال الدائرة هناك، مما أدى إلى تفتيت قوة جيشنا وتشتيته على أكثر من جبهة، فضلاً عن عدم وجود أى خطة هجومية فى حالة اعتداء إسرائيل على أراضينا والاكتفاء بخطة دفاعية لم تنفذ بالشكل المطلوب، إضافة إلى سوء التوزيع والتحركات على مسرح العمليات فى التوقيتات المناسبة .

الدبابات والعربات العسكرية المصرية مدمرة فى صحراء سيناء أثناء نكسة ٦٧

وازداد الأمر سوءًا بعد أن دفعت إسرائيل قواتها البرية ودباباتها واقتحمت سيناء، بعد أن حققت لها قواتها الجوية الغطاء الجوى، وسيطرت على سماء المعركة، وحيدت تمامًا القوات الجوية المصرية بتدميرها على الأرض، وصنعت مظلة تحمى وتمهد لقواتها البرية .. وانتشرت قوات العدو محتلة سيناء الحبيبة أمام أعين قواتنا التى شُتت فى كل اتجاه – والتى كانت ضحية لسوء تخطيط قيادتها – بعد أن دُمرت معداتها قبل إعطائها الفرصة لتحارب.

وأخطأت القيادة العامة للجيش المصرى مرة أخرى عندما أعطت أوامرها غير المخطط لها بالانسحاب العام لجميع القوات المصرية من سيناء والتمركز على الضفة

الغربية للقناة .. بدون تدريب سابق على ذلك .. فكانت العشوائية فى الانسحاب، مما زاد من خسائرنا فى الأفراد والمعدات، وخسرنا معها الروح المعنوية للمقاتل المصرى بسبب الطريقة المخزية التى تمت بها عملية الإنسحاب، مما سمح لإسرائيل بالتلذذ بقتل وأسر جنودنا بالصحراء العارية، وتشتيت قواتنا المسلحة .

وكان الهدف من هذه الحرب هو كسر إرادة المصريين، وتشكيكهم فى قدراتهم على تحقيق أى إنجاز خارج عن إرادة القوى الغربية المستبدة، والتى تمثلها إسرائيل بالمنطقة، وكأنها العصا التى تعاقب بها هذه الأنظمة المستبدة الدول العربية ..

وانكسرت مصر وانكسرت معها العروبة كلها واحتلت الضفة الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان السورية .. وضاع معها حلم القومية العربية .. فقد كان وقع الصدمة على القيادة السياسية – جمال عبد الناصر – والعسكرية وأفراد الشعب والقوات المسلحة المصرية قاسيًا وشديدًا، تلك القوات التى اعتادت على تحقيق الانتصارات والإنجازات طوال تاريخها العسكرى المشرف، وتلك القيادة السياسية التى خرجت من صفوفها، وأعطاها الشعب ثقته فى إدارة شئون البلاد.

لقد كانت الهزيمة استثناء فى تاريخ مصر والجيش المصرى ولم يكن الوضع فى الشارع المصرى أفضل حالاً من الوضع على الجبهة، فقد كان سيئًا للغاية، فالحزن يخيم

على الجميع بعد أن كُسرت هيبة بلدهم، وتم احتلال أرضهم، فخرجوا فى مظاهرات يومى ٩ و١٠ يونيو عام ١٩٦٧م، منددين ومستنكرين ما حدث على جبهة القتال، ومطالبين بمحاسبة المسؤولين عن هذه النكسة، واستمرار الرئيس جمال عبد الناصر فى إدارة شئون البلاد – بعد أن أعلن تنحيه عن منصبه – مطالبينه بسرعة العمل على إعادة بناء الجيش استعدادًا لتحرير الأرض المحتلة، وامتلأت البيوت المصرية فى مختلف ربوع مصر بالحزن على فقدان أبنائها الشهداء الذين سقطوا ضحية لهذه النكبة . بعد أن ذاقوا مرارة فقدهم لهم وشعورهم بالهزيمة فى حالة من الذهول وعدم تقبل ما حدث لظروف مقيتة لم يعهدوها من قبل .

ومن هنا جاءت حالة الرفض للهزيمة وعدم الاستسلام على كل المستويات، من قيادة وشعب وجيش، وقامت مصر تلملم جراحها وتعد نفسها لليوم الحتمى لاسترداد أرضها المغتصبة ومعها كرامتها .. وكان هذا بعد النكسة مباشرة فلم تكن الحرب قد وضعت أوزارها حين بدأت قواتنا المسلحة القيام بأشرف الحروب وهى حرب الاستنزاف لتعلن أن مصر لم تنكسر ولن تستسلم وأن موعد الأخذ بالثأر قريب .

■ حرب الاستنزاف..الشرارة الأولى لحرب أكتوبر:

إن حرب الاستنزاف لا تقل أهمية وشرفًا وعظمة عن حرب أكتوبر، بل هى البداية لكسر حاجز الخوف، ونقطة تحول فى الأداء العسكرى المصرى على الجبهة لإثبات قدرته على تحويل الهزيمة المريرة إلى نصر مبين.

وهى أطول الحروب التى واجهتها إسرائيل مع إحدى الدول العربية، حيث بدأت بعد نكسة ١٩٦٧م فى ١٩٦٧/٧/١م، وذلك عندما تقدمت المدرعات الإسرائيلية تجاه مدينة بور فؤاد بهدف احتلالها، فتصدت لها قوة من الصاعقة المصرية بنجاح فيما عُرف بمعركة (رأس العش)، وقد توقفت حرب الاستنزاف فى يوم ١٩٧٠/٨/٧م بقبول الرئيس الراحل جمال عبد الناصر لمبادرة (روجرز) لوقف إطلاق النار، لذا فهى بمثابة الشرارة الأولى لحرب أكتوبر التى تعتبر امتداداً طبيعياً لما قام به رجال القوات المسلحة الأبطال من عمليات فدائية خلف خطوط العدو طوال أيام حرب الاستنزاف، على يد مجموعات العمليات الخاصة المصرية بقيادة البطل الشهيد إبراهيم الرفاعى، ومجموعته ٣٩ قتال، التى استطاعت تنفيذ عمليات قتالية عجزت العقول الإسرائيلية عن إدراك دقة تنفيذها فى ظروف صعبة وبإمكانيات ضعيفة، حيث تمكنت أبطال المجموعة ٣٩ قتال من أسر العديد من القادة الإسرائيليين، وتدمير كثير من

مخازن الذخيرة، وتكبيد العدو خسائر فادحة فى المعدات، بعدما عبروا قناة السويس عشرات المرات بأعداد قليلة من المقاتلين الأبطال فى ظلام الليل الدامس، ليصلوا إلى الضفة الشرقية للقناة ويقتحموا الخطوط الأولى للعدو، ثم يتوغلوا فى أرض سيناء الحبيبة ليكبدوا العدو الإسرائيلى أفدح الخسائر، ليؤكدوا لهم أنهم لن ينعموا ولو بليلة واحدة على أرض الفيروز الغالية.

ومن أهم معارك وعمليات حرب الاستنزاف: (معركة رأس العش – تدمير إيلات – ... وغيرها من العمليات الناجحة ضد العدو الإسرائيلى)

■معركة رأس العش ..نهاية الزحف الإسرائيلى:

قامت المعركة الباسلة مع ساعات الصباح الأولى من فجر يوم ١ يوليو ١٩٦٧م، وبعد ثلاثة أسابيع من النكسة، حيث تقدمت قوة مدرعة إسرائيلية على امتداد الضفة الشرقية لقناة السويس من القنطرة شرق فى اتجاه الشمال بغرض الوصول إلى ضاحية بور فؤاد المواجهة لمدينة بورسعيد على الجانب الآخر للقناة، وكان هدف الأعداء احتلال بور فؤاد، وكانت المنطقة الوحيدة فى سيناء التى لم تحتلها إسرائيل أثناء حرب يونيو ١٩٦٧م، والتى بإحتلالها يتم تهديد بورسعيد ووضعها تحت رحمة الاحتلال الإسرائيلى.

وعندما وصلت القوات الإسرائيلية إلى منطقة (رأس العش) جنوب بور فؤاد وجدت قوة مصرية محدودة من قوات الصاعقة عددها ثلاثون مقاتلاً مزودين بالأسلحة الخفيفة، فى حين كانت القوة الإسرائيلية تتكون من عشر دبابات مدعمة بقوة مشاة ميكانيكية فى عربات نصف مجنزرة، وحين هاجمت قوات الاحتلال قوة الصاعقة المصرية تصدت لها الأخيرة وتشبثت بمواقعها بصلابة وأمكنها تدمير ثلاث دبابات معادية.

فوجئت القوة الإسرائيلية بالمقاومة العنيفة للقوات المصرية التى أنزلت بها خسائر كبيرة فى المعدات والأفراد والتى أجبرتها على التراجع جنوبًا.

عاود جيش الإحتلال الهجوم مرة أخرى، إلا أنه فشل فى اقتحام الموقع بالمواجهة أو الالتفاف من الجنب، وكانت النتيجة تدمير بعض العربات نصف المجنزرة وزيادة خسائر الأفراد، واضطرت القوة الإسرائيلية للانسحاب مرة أخرى.

بعد الهزيمة التى تعرض لها جيش الاحتلال الإسرائيلى لم تحاول إسرائيل احتلال بور فؤاد مرة أخرى، وظلت فى أيدى القوات المصرية حتى قيام حرب أكتوبر ١٩٧٣م، وظلت مدينة بورسعيد وميناؤها بعيدين عن التهديد المباشر لإسرائيل.

■ تدمير المدمرة «إيلات» .. وانتفاض البحرية المصرية:

نتيجة لاستمرار المدمرة الإسرائيلية إيلات فى العربدة داخل المياه الإقليمية المصرية ليلة ٢١ أكتوبر ١٩٦٧م فى تحدٍ سافر وانتهاك واضح للسيادة المصرية على مياهها الإقليمية، مما تطلب من البحرية المصرية ضبطًا بالغًا للنفس إلى أن صدرت توجيهات إلى قيادة القوات البحرية بتدمير المدمرة إيلات.

وعلى الفور جهز قائد القاعدة البحرية فى بورسعيد لنشين من صواريخ (كومر) السوفيتية- والجدير بالذكر أن لنش الصواريخ (كومر) السوفييتى مجهز بصاروخين سطح – سطح، من طراز (ستيكس)، وتزن رأسه المدمرة طنًا واحدًا – وكانت إجراءات الاستطلاع والتجهيز بالصواريخ قد تمت فى القاعدة البحرية قبل الخروج لمهاجمة مدمرة العدو بغرض تدميرها وإغراقها، كما أُعدت بقية القطع البحرية فى القاعدة كإحتياطى، وبمجرد أن صدرت أوامر قائد القوات البحرية بتدمير هذه المدمرة عند دخولها المياه الإقليمية، خرج لنشان صاروخيان من قاعدة بورسعيد لتنفيذ المهمة. هاجم اللنش الأول بإطلاق صاروخ أصاب جانب المدمرة إصابة مباشرة فأخذت تميل عل جانبها، فلاحقها بالصاروخ الثانى فتم إغراق المدمرة الإسرائيلية (إيلات) على مسافة تبعد ١١ ميلاً بحريًا شمال شرق بورسعيد بعد

الخامسة مساء يوم ٢١ أكتوبر ١٩٦٧م وعليها طاقمها الذى يتكون من نحو مائة فرد، إضافة إلى دفعة من طلبة الكلية البحرية كانت على ظهرها فى رحلة تدريبية، وقد غرقت المدمرة داخل المياه الإقليمية المصرية بحوالى ميل بحرى وعاد اللنشان إلى القاعدة لتلتهب مشاعر كل قوات جبهة القناة وكل القوات المسلحة لهذا العمل.

وطلبت إسرائيل من قوات الرقابة الدولية أن تقوم الطائرات الإسرائيلية بعملية الإنقاذ للأفراد الذين هبطوا إلى الماء عند غرق المدمرة، واستجابت مصر لطلب قوات الرقابة الدولية بعدم التدخل أثناء عملية الإنقاذ التى تمت على ضوء المشاعل التى تلقيها الطائرات، ولم تنتهز مصر هذه الفرصة للقضاء على الأفراد الذين كان يتم إنقاذهم .. فهى كالفارس النبيل حربًا وسلمًا.

فى الوقت نفسه الذى كانت مصر تخوض فيه حرب استنزاف عنيفة ضد العدو الإسرائيلى كانت على جانب آخر وفى سرية تامة -كما سنعرض فى الصفحات التالية- تقوم مصر بالإعداد والتخطيط للمعركة الحتمية لاسترداد أرضها المحتلة.

□□□